الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضًا تظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأَمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرض الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئة والطمعَ الذي هو عبادة وثن* لأنَّهُ لأجل هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضًا سلكتُم حينًا إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضًا اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسَّخَطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضًا بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيث ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا ختانٌ ولا قلفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الأبرص الشكور

يخبرنا المقطع الإنجيلي لهذا الأحد عن عشرة رجال برص «وقفوا من بعيد» لأنهم يُعتبرون دنسين ولا يُسمح لهم الاقتراب من الناس. وبسبب بعدهم «رفعوا صوتهم» وسألوا الرحمة من الرب يسوع. تحنن عليهم الرب وقال لهم «أمضوا وأروا الكهنة أنفسكم»، لأنه يحق للكهنة وحدهم بحسب الشريعةفي العهد القديم(لا ١٤) التقرير في شأن شفاء البرص. لم يُرد رب الشريعة أن يكسر الشريعة، فيما نحن نخرق الشريعة كل يوم آلاف المرات.

طهروا جميعهم من برصهم، ولكن واحدًا فقط عاد ليشكر الرب وكان سامريًا. فتساءل الرب يسوع أين التسعة، ولماذا لم يعد إلا هذا الأجنبي الذي يُعتبر محتقَرًا من الشعب؟ انه الإيمان الذي به نال هذا الإجنبي الشفاء وما هو أفضل من الشفاء، أي الخلاص: «إيمانك قد خلّصك»، وهذا هو الأهم: أن يخلص الإنسان ويدخل إلى الملكوت. الشفاء الجسدي لا نفع له ان لم يقترن بشفاء النفس.

ما نتعلّمه من إنجيل البرص هو الشكر والامتنان الواجب تقديمهما لله. نمجّد الله على صنائعه معنا وعلى الخيرات التي يمنحنا إياها «التي نعلمها والتي لا نعلمها، الظاهرة وغير الظاهرة» كما نصلّي في القداس الإلهي. نتساءل اليوم ما إذا كان الشكر جزءًا من صلاتنا؟ ألسنا دائمًا نطلب المزيد من الله دون أن نشكره؟

صورة البرص التسعة «المؤمنين» ولكن العديمي الشكر، تقابلها صورة السامري الأجنبي «الضعيف الإيمان» انما الشَكور الواعي نعمة الله. ألا يدفعنا هذا المشهد إلى فحص قلوبنا وإيماننا؟ فان الذين هم أقل إيمانًا منا، كثيرًا ما يرضون الله أكثر منا، لأن قلوبهم أكثر تقديرًا لعطايا الله، وتعرف طريق الرب بالفطرة، ولا يحتاجون إلى كثير من الفلسفة للتحدث معه.

لقد كان البَرَص في العهد القديم مرتبطًا بالخطيئة، وكان يعتبر عقابًا على خطايا يرتكبها الإنسان. ألسنا جميعنا برصًا بسبب خطايانا الكثيرة وبحاجة إلى رحمة الله؟ ألا نشعر ان الخطيئة تتآكلنا كما يتآكل جلد الإنسان بالبرص؟ هل نملك الإيمان المبني على الصخر لنصرخ مع البرص «ارحمنا يا رب»؟

انجيل اليوم يعلّمنا ان الشفاء

العدد ٢٠٠٣/٣
الأحد ١٩ كانون الثاني
البار مكاريوس المصري
والقديسَين أرسانيوس أسقف كركرة
ومرقس أسقف أفسس
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثامن

الجسدي جيد ولكن الحصول على شفاء النفس أفضل. لذا يعلّمنا الرب يسوع انه خير للإنسان ان يدخل إلى الملكوت بيد واحدة أو رجل واحدة أو دون عينين، من أن يكون له يدان ورجلان وعينان ويُلقى في النار الأبدية، نار جهنم (متى ١٨:٨-٩).

القديس غريغوريوس النزينزي

يُعتبر القدّيس غريغوريوس أسقف نازيانز (٣٢٩/ ٣٣٠-٣٩٠)، الذي تعيّد له الكنيسة المقدّسة في ٢٥ كانون الثاني من ألمع آباء الكنيسة على مرّ العصور،وأغزرهم في الإنتاج اللاهوتيّ، لذا لقبته الكنيسة «اللاهوتيّ» جاعلةً إيّاه في مصاف يوحنا كاتب الإنجيل الرابع، واعتبرته واحدًا من الأقمار الثلاثة، إلى جانب يوحنا الذهبيّ الفمّ (٣٤٩-٤٠٧) وباسيليوس الكبير (٣٢٩-٣٧٨).

تميّزت حياة غريغوريوس بصداقةٍ نموذجيّةٍ مع باسيليوس الكبير صارت مثلاً يُحتذى، وبميل إلى التأمّل والابتعاد عن المناصب، حتّى الكنسية، إذ هرب إلى البنطس بعد سيامته الكهنوتيّة في نازيانز حوالي العام ٣٦١ وقاوم رغبة صديقه باسيليوس في أن يصبح أسقفًا على مدينة ساسيما العام ٣٧٢.

غير أن شهرة غريغوريوس حملته، رغم ذلك، إلى القسطنطينية لأن الأمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩-٣٩٥) اختاره ليكون مدافعًا عن الإيمان الأرثوذكسي فيها وأسقفًا عليها، بعد أن عصفت بها الهرطقات وتوالى على كرسيها الأسقفي عدد من المطارنة ذوي الميول الآريوسية. والهرطقة الآريوسية تعليم منحرف يعود إلى المدعو آريوس الذي خدم شماسًا وكاهنًا في الإسكندرية. موجز تعليمه أنه أنكر أن الكلمة، ابن الله، من جوهر الآب نفسه، أي أن له طبيعة أبيه الإلهية ذاتها. وقد اعتبر آريوس أن الإبن مجرّد خليقة أوجدها الله ككل الخلائق الأخرى، في الزمن، بحيث أنه كان هناك زمن لم يكن الإبن موجودًا فيه. إلا أنه أقرّ بأن الإبن خليقة رفيعة المستوى تمارس دور الوسيط بين الله والخلائق الأخرى. وقد تطوّرت الهرطقة الآريوسية بعد موت مؤسّسها، وراحت تأخذ في زمن القديس غريغوريوس أشكالاً جديدة بحيث توصّل بعض الآريوسيين إلى إنكار ألوهة الروح القدس، وتاليًا إلى تدمير كلّي لعقيدة الثالوث المسيحية. امّا أبرز ممثّلي التعليم الآريوسي في الحقبة التي قضاها القديس غريغوريوس في القسطنطينية فكان إفنوميوس، أسقف كيزيكوس، الذي أنكر ألوهة كلّ من الإبن والروح القدس.

أقام القديس غريغوريوس في القسطنطينية بين العامين ٣٧٩ و٣٨١ في بيت أحد أقربائه مكرّسًا جزءاً منه كنيسةً على اسم «القيامة». وقد أدّت إقامة غريغوريوس في العاصمة الملكيّة والعظات البليغة التي كان يلقيها دفاعًا عن الإيمان المستقيم إلى قلب موازين القوى هناك، إذ بعدما كان معظم المسيحيين واقعين تحت تأثير الآريوسية، عادت أغلبيتهم الساحقة إلى الإيمان الأرثوذكسي بفضل غريغوريوس الذي ألقى عظاته الخمس الشهيرة المعروفة بالكلمات اللاهوتية، ما جعله يستحق لقب «لاهوتيّ».هذه الكلمات هي عظات دفاعيّة تفنّد آراء آريوس وإفنوميوس التي كانت رائجةً في القسطنطينية وتشرح ماهيّة الإيمان المستقيم. وقد دعيت «لاهوتية» لكونها تتناول عقيدة الثالوث، وهي نواة «اللاهوت» في المسيحية وأبرز أركانه. الكلمة اللاهوتية الأولى هي بمثابة مقدّمة

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢-١٩)

في ذلكَ الزمانِ فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عَشْرَةُ رجالٍ بُرص ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم أمْضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلقون طَهُروا* وإن واحدًا منهم لمَّا رأى أنَّهُ قد بَرِئَ رَجَعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجههِ عند قدَمَيْهِ شاكرًا لهُ وكان سامريًّا* فأجاب يسوعُ وقالَ أليسَ العَشْرَةُ قد طُهروا فأين التِسْعَة* ألَم يوجَد مَن يرجِعُ ليُمجِّدَ الله إلاّ هذا الأجنبيَّ* وقال لهُ قُمْ وامضِ. إيمانُك قد خلَّصَكَ.

تأمل

لا تُحزنوا الروح القدس لأنكم به تُعرفون! اجعلوا هذه الكلمات كخاتم على شفتي كل منكم ولا تلغوا هذه الإشارة. ان الشفاه المطبوعة بالروح القدس لا تتكلم بأشياء معوجة. لا تقل لا بأس إن نطقتَ بكلمة رديئة أو أهنتَ هذا أو ذاك، فالذي تحسبه زهيدًا يُحسب لك شرًا عظيمًا. وان الشر الذي تظنه صغيرًا سرعان ما تهمله فيتقوى، وحينئذ يتعذر شفاؤه.

أختمتَ شفتيك بالروح القدس؟ فتذكّر ما فُهْتَ به حين مولدك واذكر قيمة شفتيك! انك تدعو الله أباك

وتهين، في الوقت نفسه، أخاك! فكر جيدًا لماذا تدعو الله أباك؟ ... ألأنه أحسن إليك؟ كلا ليس من أجل هذا، بل لأجل محبته للبشر ورأفته ورحمته العظيمة. إذًا، عندما تدعوه أبًا، فكر بأنك لا تستحق هذا الشرف إذا احتقرت أخاك وكفرت بنعمة الله. فلا تهن شرفًا نلته بالرحمة، بقساوتك مع اخوتك!

... اذكر جيدًا الكلمات التي تنطق بها شفتاك والمائدة التي تستحقها. فكر جيدًا ماذا تلامسان، وما تأكلان، وما تقبّلان؟ أتظن انك لا تجرم إذا شتمت أخاك؟ وإن كانت الحال هكذا فكيف تدعوه أخًا؟ وإن لم يكن لك أخًا، فكيف تقول إذًا أبانا الذي في السموات؟ ان الضمير في كلمة أبانا يدل على كثيرين. ففكر مع من تقف أثناء تكميل الأسرار! مع الشاروبيم والساروفيم. هؤلاء لا يشتمون ولا تعرف شفاههم غير التسبيح وتمجيد الله. إذًا كيف تسبّح الله أنت؟ كيف تشترك معهم بالقول: قدوس قدوس قدوس بعد لفظك الشتائم. قل لي. إن كنت إناء ملكيًا مليئًا بالمآكل الملوكية وخُصّصتَ بهذا العمل وصدف أن نجّس هذا الإناء أحد الخدم فهل يجسر بعد هذا أن يقدّم هذا الإناء المليء بالاقذار مع الآنية الأخرى المستعملة على مائدة الملك؟ بالطبع كلا. فإن الشتائم وإهانة القريب لما يلي، وفيها يضع غريغوريوس، على غرار علماء عصره وخطبائه، الأسس المنطقية التي سيبني عليها عظاته اللاحقة معرّجًا على ادّعاءات أتباع إفنوميوس وترّهاتهم. في الكلمة الثانية يبرهن غريغوريوس، مستعينًا بالكتب المقدسة والحجج المنطقيّة، استحالة إدراك الله في جوهره والتعبير عنه بكلماتٍ بشريّة، لأنه يتجاوز كل أفكار البشر ومقولاتهم، هادفًا إلى توبيخ أتباع إفنوميوس الذين كانوا يتسرّعون في النقاشات المتعلّقة بوجود الله وطبيعته إلى درجة ادّعاء العلم بجوهر الله. في الكلمتين الثالثة والرابعة ينتقل غريغوريوس إلى الرد المباشر على الآريوسية في ما يختص بألوهة الكلمة مقدّمًا، من الكتب المقدسة، البراهين على حقيقة ألوهة المسيح وشارحًا النصوص الكتابية التي كان يفسّرها الإفنوميّون على غير مدلولها الحقيقي شرحًا سويًا. ويؤكد القديس أن صفات الضعف التي ينسبها الكتاب المقدس إلى المسيح،كالجوع والعطش والبكاء والألم والموت، لا بدّ من إسنادها إلى الطبيعة البشرية فيه، لأن الكلمة إلى جانب كونه إلهًا تامًا صار بعد تجسّده إنسانًا تامًا أيضًا. أما الكلمة الخامسة فتتناول الروح القدس الذي كان أتباع إفنوميوس ينكرون ألوهته. ويبرز غريغوريوس عقيدة الثالوث ناصعةً لا زغل فيها. فالروح القدس واحد مع الآب والإبن في الجوهر، يحمل طبيعتهما الإلهية ذاتها، والثالوث قائم في أقانيم ثلاثة، الآب والابن والروح القدس، تتشارك في الطبيعة الإلهية نفسها ولكنّها تختلف في طريقة وجود كلّ منها. فالآب هو المصدر، لذا هو غير مولود وغير منبثق. أما الإبن فصادر قبل بداية الخلق من الآب بالولادة، فيما الروح القدس صادر من الآب بالانبثاق.

كان لهذه العظات الخمس وغيرها ممّا ألقاه القديس غريغوريوس في القسطنطينية الفضل في أن يفرض نفسه كأهمّ لاهوتي في عصره وأن يُختار بطريركًا على القسطنطينية ويتزعم جلسات المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) الذي دافع عن ألوهة الروح القدس بعد موت ملاتيوس الأنطاكي. غير أن التضييق الذي تعرّض له من قِبَل بعض الأساقفة المصريين أدى به، هو الميّال إلى العزلة والابتعاد عن الضوضاء، إلى التخلي عن الكرسي البطريركي في العاصمة الملكية ومغادرة المجمع مودّعًا إيّاه بعظة مؤثرة. وقد انصرف في أعوامه الأخيرة إلى النسك والتأمل وكتابة الشعر والرسائل تاركًا للكنيسة المقدسة إرثًا غنيًّا وسيرةً هي موضع الإعجاب والاقتداء في كلّ عصر.

الذكرى الـ ١٢٥ لتأسيس المستشفى

ظهر الخميس ٩ كانون الثاني أقيم في مستشفى القديس جاورجيوس مؤتمر صحافي أعلن خلاله سيادة المتروبوليت الياس انطلاق الاحتفالات بالذكرى الـ١٢٥ لتأسيس المستشفى بالكلمة التالية:

«في بدء هذه السنة التي أسأل الرب الإله أن يجعلها مباركة، حاملة لنا جميعاً الخير والبركة ولوطننا الاستقرار والسلام والازدهار، يسرّني أن أعلن لكم انطلاق الاحتفالات بالذكرى المئة والخامسة والعشرين لتأسيس مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت. والسرور ليس نابعاً من كون هذه المؤسسة تخصّ كنيستنا الأرثوذكسية وحسب، بل لأنها مؤسسة وطنية ويحق للوطن والمواطنين جميعاً مشاركتنا بهجة هذا اليوم.

قرن وربع القرن. قد يبدو هذا العمر طويلاً، وقد يكون سمةً من سمات الشيخوخة لو قُدِّر أن يكون لإنسان، لكن هذه السنوات الطوال كانت حلقات مترابطة من عمر مؤسستنا، حاول خلالها القيّمون عليها منذ تأسيسها حتى يومنا الحاضر، بجهد وصبر دؤوب، أن يجعلوا منها مؤسسة إنسانية قبل كل شيء، تستلهم تعاليم الكنيسة وتحاول السير بهديها رغم الصعوبات والعقبات، وما كان أكثرها.

انطلاقتها كانت بهدف الاعتناء بالمرضى الفقراء والمحتاجين. وعلى مرّ الأيام، بسبب تضاعُفِ عدد المرضى تضاعَفَ عدد الأسرّة وكبر حجم المستشفى، والخدمات الصحية والاستشفائية اتسعت بدورها رغم الحروب العديدة التي عايشها المستشفى ورغم الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي حاول دائماً أن يغالبها. وتقديم العناية الفضلى يستوجب إلى جانب البناء الكبير والغرف المريحة تقنيات حديثة متطورة،ويستلزم وجود أطباء بارعين من حملة أعلى الشهادات وممرضين ذوي خبرة وموظفين أكفاء وإدارة تحتضن الجميع وترعاهم ليرعوا بدورهم المريض المحتاج قبل كلّ شيء إلى محبّتهم، إلى قلوبهم. هذا كان الالتزام الكبير، التحدّي.

المستشفى ليس مكاناً يقصده المريض ليجري فحصاً على آلة حديثة أو يخضع لعملية جراحية في غرفة عمليات متطوّرة وحسب. المستشفى هو المكان الذي يجد فيه المريض راحةً وطمأنينة ورجاء رغم المرض والألم، أو هكذا يجب أن يكون. هل هذا يعني أن نُبقي القديم على قِدَمه؟ بالطبع لا ومسيرة مستشفانا خير دليل على ذلك. كل ما نقوم به وقام به أسلافنا يدلّ على أن السعي كان حثيثاً من أجل مواكبة التقدّم العلمي والتطوّر التقني. لكن السعي كان حثيثاً أيضاً من أجل جمع العنصر البشري المحبّ، الكفوء، المثابر، الذي يرى في الإنسان إنساناً لا رقماً. والسعي كان حثيثاً من أجل تبادل الخبرات والإفادة من خبرة الآخرين، فكانت الاتفاقيات التي ربطت مستشفانا بكبار المستشفيات في العالم. ولأننا نعي مسؤوليتنا تجاه وطننا وأبنائه طوّرنا مستشفانا ليصبح مستشفى جامعياً تعليمياً يخرّج الأطباء ويدرّبهم.

هل نجحنا؟ رجائي أن يكون هذا المستشفى على صورة شفيعه القديس جاورجيوس المُدافع عن الحق والإنسانية ضدّ الظلم والشرّ والمؤازر المريض والفقير والمحتاج. التنين الذي نراه في أيقونة القديس جاورجيوس قد يكون المرض والألم والفقر والشرّ بكلّ أشكاله. قد يكون الأنا التي يمتلئ بها الإنسان فلا يعود يرى غير نفسه. وهل من مكان أفضل من المستشفى ليتخلى الإنسان فيه عن أنانيته ويتّجه نحو الآخر؟

دعائي أن يكون هذا المستشفى بإدارته وأطبّائه وممرّضيه وموظّفيه وكلّ إنسان يعمل فيه حامل رسالة يعي مضمونها بوضوح، وهدفها.

منذ مئة وخمس وعشرين سنة شاء آباؤنا الشهادة لربّهم في خلائقه فحوّلوا بيتاً إلى مكانٍ للعناية بالمرضى. كانت تلك المحطة الأولى، تبعتها محطات عديدة نما خلالها المستشفى وكَبُر. وها نحن اليوم نشهد مرحلة جديدة من مراحل نموّه، جناحاً جديداً يُضاف إلى الأجنحة القديمة سوف ندشّنه أواخر هذه السنة بمشيئة الله، نجدد به العهد تجاه الله، تجاه المريض، تجاه الوطن،وتجاه النفس أولاً بالبقاء على التزامنا «الحياة» من أجل حياة أفضل».

تشبه هذا الإناء بالتمام.

أبانا! ليس وحدك تقول هذا. تأمل ما يلي هذه الكلمة (أي) «في السموات». فإن هذه الكلمات تكشف عن ذهنك وتثبت لك انه يوجد لك أب في السموات فلا تتفوه بشيء عالمي! انها أصعدتك إلى العلاء وأوجدتك مع الأجناد السماوية. إذاً، لماذا تسقط إلى الهاوية؟ أتقف أمام عرش الله وتتلفظ بالشتائم؟ ألا تخاف من أن يعد الله عملك هذا إهانة؟ إذا ضرب عبد عبدًا آخر وشتمه أمام أعيننا ألا نتكدر منه، ونحسب عمله إهانة لنا ولو كان عمله بحق؟ أما أنت الواقف مع الشاروبيم أمام عرش المولى فتتجاسر أن تهين أخاك.

أترى هذه الآنية المقدسة؟ انها أُعدت لشيء معين، فمن يجسر أن يستعملها لشيء آخر؟ انك أقدس من هذه الآنية بكثير. فالله زيّن شفتيك بأناشيد ملائكية عديدة. فلماذا تدنس ذاتك وتلطخها بالأقذار؟

قد زين الله شفتيك بالتسابيح الملائكية العديدة وأهّلك لتتقبل الملائكة بل السيد نفسه، ومع ذلك تستسلم للشتائم فأسألك أن تتركها، لأنها بعيدة عن الروح المسيحية ومضرة كثيرًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم